Al-Azhār
ISSN (Print): 2519-6707
Volume 7, Issue 2(July- December, 2021)

Issue:http: http://www.al-azhaar.org/index.php/alazhar/issue/view/17
URL: http://www.al-azhaar.org/index.php/alazhar/article/view/270
Article DOI: https://doi.org/10.46896/alazhr.v7i02.270

Title The Homesickness and Strangeness in the Poetry of Companians of the Prohet (Peace be upon him)

Author (s): Dr. Mufti Muhammad Saleem, Dr. Tabassum Kulsoom, Dr. Abdul Razzaq Shahzad Silavi

Received on: 29 July, 2021
Accepted on: 29 November, 2021
Published on: 25 December, 2021

Citation: Dr. Mufti Muhammad Saleem, Dr. Tabassum Kulsoom, Dr. Abdul Razzaq Shahzad Silavi, “"(The Homesickness and Strangeness in the Poetry of Companians of the Prohet (Peace be upon him))” Al-Azhār: 7 no, 2 (2021): 471-484

Publisher: The University of Agriculture Peshawar

Click here for more

الحنین والغرابة فی شعر الصحابة رضی اللہ المهاجرین

(The Homesickness and Strangeness in the Poetry of Companians of the Prohet (Peace be upon him))

* د۔مفتی محمد سلیم
** د۔تبسم کلثوم
*** د۔عبد الرزاق شہزاد

Abstract

The article language was at its peak in expression, richness, vocabulary, artistic and petic value during the lifetime of the Prophet (Peace be upon him). The Arabic language achieved its peak in expression and literature during this time. Arabs took great pride in their language nd in articulate and accurate speech, it was one of the main essentials for social prominence. This Research article ''The homesickness and strangeness in the poetry of Companians of the Prohet (Peace be upon him)'' is aimed to present the poetic excellence of the Companians and the trends adopted by them. A through analysis is made of the research bring about an assertion that the poetry of the Companians of the Prohet (Peace be upon him) introduced new trends in poetry such as the (homesickness and strangeness in their poetry). From various perspectives, this research study has proved that the poetry of the Companians of the Prohet (Peace be upon him) has great significance in the Arabic literature, especially in poetry.

Keywords: language, expression, richness, vocabulary, artistic

.....

* المحقق، قسم اللغة العربية، جامعةجی سی، فیصل اباد
** استاذ ة مساعدة،،FUUAST, کراتشی
***استاذ مساعد، المحکمة التعلیم، سندھ

إن الموقف الذي اتخذه الإسلام من الشعر موقف أخلاقي ينطلق من أهمية الشعر ودوره فى تعزيز مسيرة الرسالة ، وهو موقف يستمد مقوماته من مبادئ الرسالة الكريمة. فكان طبيعياً أن ينعكس تأثير ذلك الموقف على اغراض الشعر الإسلامى ، فأصبح الشعر يجري فى الاتجاه الذي يرمي إلى الذود عن الحنين والغرابة ، ويدعو إلى التمسك بنهجها الكريم ، لأن الشعر سلاح
إعلامي فقال عبّر عن قيم الرسالة ومنها الشوق إلى الوطن فى ديار الغرابة، ومبادئها السامية.

وإزاء هذا الموقف تحددت أغراض الشعر الإسلامى ، وصار الشعراء ملزمين باتباع الخطوط التي حددتها الشريعة فاستمر الشعرالمعبر عن روح العقيدة ، وأهدافها ، والملتزم بمبادئها ، في حين انحسر الشعر الذي لم يلتزم بالضوابط التي حددتها الرسالة. إلا أن هذا التحديد لدور الشعر لم يفرض حالة من الجمود على مواهب الشعراء ، وقدراتهم الشعرية. بل إن المعارك التي خاضها المسلمون فى جزيرتهم ، وحروب التحرير التي اصطلوا بلظاها خارج جزيرتهم كانت ميداناً رحباً ، وتجربة جديدة ، وسعت آفاق الشعراء وفتحت قرائحهم ، لا تجاهات جديدة فى التعبير ، من أجل توضيح كثير من الملامح البارزة لواقع البلدان المحررة ، وأحوالها ، والأجواء الجديدة التي صادفتهم ، وطبيعة البشر الذين استجابوا لصوت الدعوة ، إلى جانب صور الحنين الأصيل الذي تغنّى به المجاهدون بأرضهم التي ابتعدوا عنها ، وأهلهم الذين فارقوهم ، وأحبائهم الذين شعروا بوطأة الشوق إليهم.[1]

فكان شعر الحنين صورة صادقة فى تعبيره عن الأشواق التى اختلجت فى نفوس المجاهدين وهم يتأملون صورة الوطن الذي اقبلوا منه ، وما كان يساورهم من عشق لمعالمه ، وحب لأهله. وما أكثر ما كانت تثير عندهم بعض المشاهد التي يرونها أو الأحداث التي يمتحنوا بها من أشواق. ولايزال الشعر الذي قيل فى القادسية في نخلتي حلوان شعراً نديا رطباً تقرؤه فتشارک أصحابه عواطفهم الملتهبة.[2]

إن هذه المشاعر الرقيقة التي حملها الشعراء المجاهدون لأهلهم ، والعواطف الصادقة التي شدتهم إلى أوطانهم ، قدرشكّلت اتجاهاً جديداً فى الشعر اختلطت فيه العاطفة الرقيقة بالعقيدة الصادقة. فكان شعر الحنين نموذجاً يموج بالرقة والإنسانية ويحفل بمشاعر الغربة التي يسودها شعور يخالطه الحزن ، وتلمس فيه

الوفاء.

أما الشعر الذي قيل فى وصف البلدان الجديدة التي دخلوها ، فقد شكّل هو الآخر تناولاً جديداً فى وصف المظاهر التي لم يألفوا مشاهدتها من قبل ، فكانت تجارب جديدة دخلت في أوصافهم وعبّرت عن أحاسيسهم ومشاعرهم ، وهم يدخلون أرضاً تختلف اختلافاً كبيراً عن أرضهم ، وتتميز عنها بقصورها المشرعة ، وحدائقها الغنّاء ، وحيواناتها التي لم يألفوا رؤية بعضها.

إن هذه الاتجاهات فى أغراض الشعر هي دون شك أغراض استحاثتها الأوضاع الجديدة ، و فرضتها طبيعة البيئة الطارئة التي حلوا بها. وأشكالهه عن الأدب الذي عرفناه ، وإنه يضيف إليها تجربة جديدة.[3]

شعر الحنين :

" منذ أن لامس الإنسان الأرض ومسّ جسده التراب ، تأصل حبها فى نفسه ، وتجسد إحساسها في وجوده تجاوباً وتآلفاً ، لأنه عرف فيها طعم الاستئناس ، ووجد فى طواتها الحنو والرعاية. فكان الوطن حكاية لكل ما يسمعون ولوناً لكل ما يبصرون ، وحساً لكل ما يفعلون ويعقلون تعالت نغامته في أعماق الذات وتحركت صداؤه فى حنايا النفس.[4]

والإنسان منذ أن خلق اجتماعي بطبيعته ، يحب وطنه ويتمسک به ، ويلتزم بالذود عنه وهو يشعر بالراحة والاطمئنان حين يكون بين أهله وأحبته. وقديماً قال بعض الفلاسفة: "فطرة الرجل معجونة بحب الوطن ، ولذلک قال قراط: يُداوَى كلّ عليل بعقاقير أرضه . . . وقال جالينوس : يتوّح العليل بنسيم أرضه ، كما تتروح الأرض الجدبة ببلل القطر."[5]

ومما يؤكد حب الأوطان "قول الله عزوجل حين ذكر الديار يخبر عن مواقعها في قلوب عباده ، فقال: "وَ لَوْ اَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ اَنِ اقْتُلُوْٓا اَنْفُسَكُمْ اَوِ اخْرُجُوْا مِنْ دِيَارِكُمْ مَّا فَعَلُوْهُ اِلَّا قَلِيْلٌ مِّنْهُمْ "[6] ، فسوّى بين قتل أنفسهم و بين الخروج من ديارهم."[7] وحين تعصف بالإنسان صروف الدهر ، وتشتد عليه عاديات الزمن يجد في حديث الحنين سبيلاً لتخفيف الأحزان و وسيلة لتحقيق السلوان.

والحنين نزعة إنسانية عريقة عرفتها الشعوب ، وذاقت طعمها مواكب الإنسانية وهي تتحمل غصصها ، وتكتوي بلهيب شوقها لأه من علامة الرشد أن تكون النفس إلى

مولدها مشتاقة ، وإلى مسقط رأسها توّاقة. فالإنسان الذي اعتاد رؤية الأرض وتنسم أريج الدار التي نشأ بها أيام الصبا ، وعاش فى ربوعها لحظات الطفولة والصحبة لا تفارق ذاكرته ولا تغيب عن مخيلته.[8]

وقد تميزت العرب عن غيرها من الأمم بالتعلق الشديد بأوطانها. وهي أمة حباها الله تعالى بالكثير من رهافة الحس ، ورقة الشعور. ''فكانت العرب إذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلادها رملاً وعَفراً تستنشقه عند نزلة أو زكام أو صداع.'' [9]

وحين خرج المسلمون مجاهدين في صفوف الإسلام ، لم يأبهوا بالأهل ولم يلتفتوا للأحبة ، لأن إيمانهم الصادق ، وعقيدتهم الراسخة كان أجلّ شي ء في حياتهم. غير أن هذا التوحد مع المبادئ لم يكن كفيلاً بأن ينسى العربي طبيعته الاجتماعية ، وأن يلغي في نفسه كل مشاعر الحنين ، والشوق ، لأن بريق الإيمان ، و ومج العقيدة الساطع إن كان قد غمر نفوس المسلمين فأضاء جوانبها ، و فتح اعماقها. فإنه لا يسع لإذابة المشاعر الإنسانية ، والأحاسيس النبيلة التي كانت تتصاعد في نفوس المجاهدين وهم يلمحون صور الأهل ، والاحبة تطالعهم مع خفقة كل سلاح ، و تتراءى لهم مع ومضة كل بريق ، فكانت مشاعر الحنين ، و خطرأت الشوق متنفساً تنسم من خلاله المجاهدون صورة أوطانهم ، وريح أهلهم ، وذويهم.

''والأدب الذي عبّر عن الحس الصادق ، وتوافرت له أسباب التعبير ، وتهيأت له وسائل الإجادة والبلاغة كان صوتاً من أصوات الحنين وهمسة من همسات الإحساس بعظم حبه ، وصدق عواطفه وسماحة وفائه ، وكان الشعر صدىّ لتلك المشاعر ، وسمة تلك السمات.''[10] فمثّل شعر الحنين والغرابة في هذا الجانب صورة من صور الاعتزاز بالعقيدة المقترن بحب الوطن والأهل. وهكذا اقترب الشعر من هذه الخلجات الإنسانية ، ولم يبتعد الشعراء ، وهم يذكرون صولات الرجال وقراع النصال وتهاوي السيوف ، وتلاحم القذائف عن خفقات القلوب ، وهي تتوق للأحبة ، وتزخر بأفانين الحب ، وتتذكر الأعزة.

والحنين إلى الوطن ، ظاهرة إنسانية ، عامة ، لا يستطيع المرء التخلي عنها ، مهما بلغ رقيه الحضاري ، وتطوره المادي ، وسموه الروحي.[11] فالرسول الكريم يحنُّ إلى الوطن ، و يدعو إلى حبه ، ومما يروى عنه ﷺ أنه قال: ''حبُّ الوطن من الإيمان.'' [12] ، لأنه يدرك قيمة الوطن ، ويعرف مقدار اللوعة والألم التي يخلّفها فراقه ، والنأي

عنه. وعلى الرغم من أن الرسولﷺ قد ترک موطنه مكة ابتغاء غاية مقدسة ، وامتثالاً لأمر إلٰهي ، فإنه لم يستطع أن يكتم مشاعر اللوعة ، والحزن التي عصرت قلبه ، وهو يودعها ، فبكى مكة بدموع تقطر بالشوق والحنين. وينقل لنا الأزرقي (244م) فى كتابه ''أخبار مكة'' حادثة تصور الشوق الذي تصاعد في نفس الرسول ﷺ وهو يصغي إلى حديث أصيل الغفاري عن مكة وأخبارها. ''فعندما أصيل الغفاري قبل أن يضرب الحجاب على أزواج النبى ﷺ ، دخل على عائشة رضى الله عنها فقالت له: يا أصيل كيف عهدت مكة؟ قال: عهدتها قد أخصب جنابها ، وابيضت بطحاؤها ، قالت: أقم حتى يأتيک النبى ﷺ ، فلم يلبث أن دخل النبى ﷺ ، فقال له: يا أصيل كيف عهدت مكة؟ قال: والله عهدتها قد أخصب جنابها ، وابيضت بطحاؤها، وأغدق أذخرها . . . فقال حسبک يا أصيل لا تحزّنا.''[13] و يظهر تعلق النبى ﷺ بوطنه مكة ، وحبه البقاء فيه ، فيما يرويه ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: والله إني لأخرج منک وإنى لأعلم أنک أحب البلاد إلى الله ، وأكرمها على الله تعالى ، ولو لا أن أهلک أخرجوني منک ما خرجت.''[14]

ويهاجر المسلمون من مكة ، حاملين معهم أجلّ عقيدة ، وأكرم رسالة ، مجسدين عمق إيمانهم بالله ورسالته . فكانت الهجرة تعبيراً عن وحدة الإيمان بالله فى نفوس المسلمين. ويخرج صحابة أجلاء في ركب المهاجرين تاركين مكة ، و فيهم الصحابى الجليل أبو أحمد بن جحش الذي حرم من نعمة الأبصار ، فقد لقي هذا الصحابي من عذاب قريش بمكة ما لا يمكن تصوره ، فما كان منه إلا أن فرّ بدينه مستعذباً الألم ، ومتحملاً لوعة فراق وطنه في سبيله. ولكنه لم يستطع كتمان ما كان يختلج فى صدره من مشاعر تشاه إلى مكة. وفي مناجاته لزوجه تبدو لواعج الشوق ، والحنين إلى مكة ، وهي مشاعر مشوبة بحب العقيدة ، وفى ذلک يقول:

لمّا رأتني أُمُّ أحمد غاديا بذمّة من أخشى بغَيب وأرهبُ

تقول : فإمّا كنت لا بدّ فاعلاً فيمّم بنا البلدان ولتنأ يثربُ

فقلت لها: بل يثرب اليوم وجهنا و ما يشإ الرّحمٰنُ فالعبدُ يركبُ[15]

وفى غمرة هذه المناجاة ، تبرز مشاعر الحنين والشوق إلى الأهل والأحبة ، وهو يتأمل صورتهم ، ساعة التوديع ، وهم يجهشون بالبكاء لفراقهم ، فيقول :

فكم قد تركنا من حميم مُناصِح و ناصحة تبكي بدَمع و تندُبُ

ترى أن وتراً نأيُنا عن بلادنا و نحن نرى أنّ الرّغائب نطلُبُ[16]

وابن أم مكتوم لا يخفي مشاعر الحنين إلى مكة ، وهو يمسك بزمام ناقة رسول الله ﷺ -وقت الهجرة – فيذكر وطنه مكة ، ويحنّ إليها ، ولم لا يحن إليها؟ وقد خلّف فيها الأهل والأصحاب ، ثم يؤكد حبه لمكة لأنها أرضه التي ترسخ فيها أوتاده ، ويمشي بها دون حاجة إى هاد ، لأنه وليدها ، وهو أعرف بشعابها ، وفي ذلك يقول:

يا حبّذا مكة من وادي أرض بها أهلي وعوّادي

رض بها ترسخ أوتادى أرض بها أمشي بلا هادي[17]

وبلال الحبشي الذي هاجر مع النبى ﷺ إلى المدينة حين يحسُّ بالغربة يهزّه الشوق إلى مكة ، فيتمنى أن يبيت ليلة فيها ، وأن يمتع نفسه المكروبة بتأمل نباتها الأخضر ، ويلفه شعور بطلب المزيد ، ليردَ من مياه مجنّة ، أو أن يُسعد برؤية شامة ، وطفيل ، و في ذلك يقول:

ألا لَيت شعري هَل أبيتنَّ لَيْلةً بفخ و حولي أذخر و جليل

و هل أردَن يوماً مياهَ مجنّةٍ وهل يبدُون لي شامةٌ و طَفيلُ[18]

فما أن سمع الرسول ﷺ هذه الأبيات حتى قال: حننت يا ابن السوداء [19]، ثم سأل الله طالباً منه أن يخفف عليهم ، وأن يحبب لهم المدينة ، كما حبب لهم مكة ، فقال ﷺ : " اللهم ان خليلك ابراهيم دعا لمكة ، و أنا عبدك ، ورسولك ، أدعو للمدينة ، اللهمّ صححها ، وحبّبها إلينا مثل مثل ما حببت إلينا مكة أو أشد."[20]

ويبقى شوق خبيب بن عدي الذي أسره المشركون – يوم الرجيع – يحمل دلالات الوفاء للمبدأ الذي آمن به ، وارتضاه عقيدة ، وأبى إلا أن يموت عليه. فهو حين تأمل وجوده وهو محاط بالمشركين وقد اعدوا العدة لصلبه ، لم تراوده صورة الأهل والأحبة ، بل شعر بالمرارة والألم لغربته بين مؤلاء المشركين ، فشكا اغترابه ، وبث نجواه إلى الله عزوجل ، وقال في ذلك:

لقد جمّع الأحزابُ حولي وألّبُوا قبائلهم واستَجمَعوا كُلّ مجمَعِ

وقد جمّعوا أبناء هم ونساء هم و قُرّبتُ من جِذعٍ طويلٍ مُمنَّعِ

إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي و ما أرصدَ الأحزابُ لي عند مصرعي

فذا العرش ، صبّرني على ما يُراد بي فقد بضّعوا لحمي وقد ياسَ مطمعي[21]

وكان انطلاق العرب من الجزيرة في بداية توجه جديد لتحرير القبائل العربية من دنس الاحتلال الساسى والبيزنطي ، أمراً غير يسير على المسلمين. سيما وأنهم لم يتعودا الخروج من الجزيرة لفترات زمنية طويلة ، فضلاً عما هو معروف عن العربى من التعلق بوطنه ، وأهله. كل ذلک كان كفيلاً بأن يفجر في نفسه شوقاً ، وحنيناً إلى الأرض والإنسان والتي انطبعت رموزهما في مخيلته فكان الوطن بالنسبة له رمزاً تختفي وراء ه الكثير من المعاني والصور.

ولم تكن صورة الوطن وحدها التي تثير فيهم مشاعر الشوق ، والحنين ، فصور الأحبة والأهل هي الأخرى كانت تبعث فيهم تلک المواجع ، وهم يتأملون تلک المسافات الشاسعة التي تفصلهم ، وما تركه نأيهم فى نفوسهم المغتربة من حزن.

فالإنسان الذي يشعر باجتماعيته وهو يمر عبر مراحل الحياة الطويلة وعرف الألفة والصحبة والتعاون ، وطبعت حياته بألوان الحاجة إلى الآخرين ، وأدرک عمق التعاون الذي يشد بينه طوال العصور السحيقة ، عرف هذا الإنسان مقدار التآلف وأحس بحالات الاطمئنان التي وجد فيها استمراراً لحياته ، وإن حالة التفرد أو الشعور بالانفرادية ليست حالة طبيعية بالنسبة إليه.[22] فورد بن الورد الكعبي[23] المجاهد الشاعر الذي نزل فى رامهرمز يشعر بالغوبة لا لبعد ، عن وطنه فحسب ، بل لأنه فارق أحبته فامتلأ قلبه شوقاً ، وأترع فؤاده حنيناً ، فحاک من أشواقه وحنينه أسباباً تشدّه إليهم ، فقال:

أمغترباً أصبحتُ في رامَهُرمُزٍ ألا كلُّ كعبيّ هُناک غريبُ
إذا راحَ قوْمٌ مُصْعِدُوْنَ فقَلبُهُ مع المصعدين الرائحين جنيبُ
وإن القليب الفرد من جانب الحمى إلى وإن لم آته لحبيبُ
ولا خير فى الدنيا إذا أنت لم تزر حبيباً ولم يطرب إليک حبيبُ[24]

وكثير بن الغريزة النهشليّ الذي رافق جيش المسلمين في عهد عمر رضى الله عنه إلى الطالقان ، والجوزجان. يغمره شعور بالشوق والحنين إلى وطنه ، في معرض رثائه لمن استشهد من أصحابه في هذه المعركة ، عند ما يتأمل الحالة التي يموت فيها الإنسان بعيداً عن الأهل والأحبة ، فيمزج الرثاء بالحنين ، ويصور النفس في أصعب حالاتها العاطفية. فهو لا يجزع من الموت ، لأنه مؤمن به ، بل يثيره الغربة ، فيحن إلى البرق اليماني ، ويشتاق إلى أناس يتوقون لرؤياه ، ويشتاق هو لرؤياهم. ولكن ما جدوى ذلک

الإحساس ، لأنه لن يراهم ، ولن يروه ، وفي ذلك يقول:

سقى مُزنُ السَّحابِ إذا استهلّت مصارع فتيةٍ بالجوزجان
إلىٰ القصرين من رستاقِ خوطٍ أبادهُم هناك الأقرعانِ
وما بي أن أكون جزعتُ إلاَّ حنين القلب للبرق اليمانى
ومحبورٍ برؤيتنا يُرَجَّى الـ لقاء ولن أراه ولن يراني[25]

وصف المظاهر الجديدة :

مما لا ريب فيه أن الحياة التي اعتادها العربي في جزيرته ، قبل أن يخرج منها ، حياة بسيطة ، تتسم بالعفوية ، وتبتعد عن مظاهر التعقيد. وهي دون شك تشكّل الانعكاس الصادق لظروف بيئته ، وطبيعة الحياة التي فرضتها تلك الظروف. فأينما امتد بصر العربي واجهته الصحراء برمالها الممتدة ، وخيامها المتناثرة ، وإذا حاد ببصره عن الأرض ليتأمل السماء ، واجهته السماء و كأنها هي الأخرى مرآة عاكسة لصورة الصحراء. فألّف تلك المشاهد وانطبعت في ذهنه وحدة ألوانها. وحين أنزل الله عزوجل رسالته الكريمة للناس ، فإنه لم يخص العرب بها وحدهم بل جعلها رسالة للإنسانية جمعاء. وشاء ت إرادة الله أن يتشرف العرب بحمل هذه المسؤولية التي حباهم الله بها فانطلقت مسيرة الإسلام فى ربوع الجزير العربية تنشر مبادئ الرسالة الكريمة ، وما أن أتمّ الله تعالى للمسلمين مهمتهم داخل الجزيرة ، حتى انطلقوا خارجها ، يحفّزهم الإيمان ، ويحدوهم الأمل بنصر الله.

وحين بدأت جحافل الإيمان مسيرتها لتحرير الأرض والإنسان ، واجهت المجاهدين بيئات لم يألفوها من قبل ، ولم يتعودوا العيش فى مثلها. فوجدوا صعوبة في التكيّف معها. والانسجام مع مظاهرها. فأرسلوا حنينهم وأشواقهم إلى نجد ، وغيرها من مواضع الجزيرة العربية. ولم تك إحساسات المجاهدين ، وهم يشعرون بالتباين الكبير في مظاهر البيئة والحياة ، قاصرة على إرسال أشواقهم وحنينهم إلى الأرض التي تركوها ، بل أثارت في نفوس الكثيرين منهم مشاعر الدهشة والانبهار وهم يواجهون حضارة وترفاً لم يروا مثيلاً له في جزيرتهم. فقائد المسلمين في مصر عمرو بن العاص بعد أن فتح الله له الإسكندرية ، أرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتاباً يصف له الإسكندرية جاء فيه : أما بعد فإني فتحت مدينة لا أصف ما فيها ، غير أني أصبتُ فيها ، أربعة آلاف منية ، بأربعة آلاف حمام ، وأربع مائة ملهى للملوك ، واثني

عشر ألف بقّال يبيعون البقل الأخضر ، وسبعون ألفاً من اليهود و أهل الذمة.[26] والخبر رغم المبالغة التي تبدو فيه ، إلا أن يدل دلالة واضحة على البون الشاسع بين هذه الحياة ، والحياة التي اعتادها العرب فى جزيرتهم.

ومن غير شک أن هذا الازدهار الحضاري ، والتطور الاقتصادي ، لم يكن سمة لمجتمع الإسكندرية وحده ، بل لا بد أن يكون سمة لغيره من المجتمعات التي حررها العرب ، ولا غرابة بعد هذا فى أن يقف المجاهدون مبهورين ، مندهشين لم رأوه من مظاهر جديدة. وأن تستأثر المشاهد الغريبة التي لم يألفها العرب من قبل ، بقسط كبير من اهتمام شعراء التحرير ، فصوّروا هذه المشاهد تصويراً دقيقاً ، وأبدوا دهشتهم واستغرابهم لتلک المناظر التي يشاهدونها لأوّل مرة.[27]

وقد حظيت المدن التي تم تحريرها ، بوصف الشعراء لاجوائها الجميلة وخيراتها الوفيرة ، وقصورها المشرعة. وحرص الشعراء على تسجيل ما أنعم الله عليهم من خير ، ونعمة في هذه المدن التي حرروها. فعاصم بن عمرو التميمي الشاعر وفارس حروب التحرير ، يشكر لله فضله على ما أنعم على المحررين من تحرير أرض السواد وما تحقق من غنم اسواق السماسير ، فيقول:

والله أورثنا من فضل نعمته أرض السّواد وأسواق السماسير[28]

ويشير عاصم إلى ما أنعم الله على المسلمين فى كسكر من طيبات فيصف الطعام بما فيه من شواء ، وخردل ، و طريقة إعداده ، فيقول:

إن تک ذا قروٍ و نجمٍ و جوزَلٍ فعندَ ابن فرّوخ شواءٌ و خردَلُ

وقَروٌ رقاق كالصَّحائفِ طوّيَتْ عَلٰى مُوعٍ فيها بقُولٌ و جَوزَلُ[29]

وأبو مجيد نافع بن الأسود الذي كان له شرف المشاركة في معارک نهاوند والرّيّ ، ادهشته الرّيّ بجوها. و عيشها ، فوصفها ، و وصف ريفها ، وأشار إلى عيشها المتواتر ، وريحها الفوّاحة ، فقال:

دعانا إلى جُرجان والرّيُّ دونها سوادٌ فأرضت من بها من عشائر

رضينا بريف الرّيّ والريُّ بلدة لها زينةٌ في عيشها المُتواتر

لها نشر في كل آخر ليلةٍ تذكر أعراس الملوک الأكابر[30]

ومثل ما وصف أبو نجيد الرّيّ ، وريفها ، فقد وصف القعقاع بن عمرو الحيرة ، و وقف عند قصورها ، فقال:

وَ يَومَ أحَطْنا بالقُصورِ تتابَعت على الحيرة الروحاء إحدىٰ المصارفِ[31]

وأشار عاصم بن عمرو إلى قصور الحيرة المتصبة ، وشبهها بأضراس الكلاب فقال:

صبحنا الحيرة الروحاءَ خَيلاً و رجلاً فوق أثباج الركاب

حَضرنا فى نواحيها قصوراً مشرعة كأضراس الكلاب[32]

ولم تكن مظاهر العمران التي طالعوها في المدن والبلدان المحررة ، وحدها التي أثارت دهشتهم ، وانتباههم ، بل إن منظر الفيلة كان من المشاهد التي أثارت استغرابهم ، فذكروها في أشعارهم. وفي هذا الجانب كانت فيول الفرس ، وصورتها الغريبة ، وطريقة استخدامها فى القتال مجالاً رحباً من مجالات الشعراء الذين ساهموا فى القتال ، وقاوموا هذا الحيوان الغريب الذي لم يألفوه من قبل بعد أن التقت جيوش المسلمين بالمشركين طوال ثلاثة أيام بثلاث ليال متصلة ، وقد تحدث الشعراء الذين شاركوا في هذه المعارك عن الفيل ، بما يؤكد تلك الغرابة. [33] فعبد ة بن الطبيب السعدي ، الذي هاجر وراء حليلته التي سارت مع المحررين إلى العراق ، وشهد وقعة بابل. اتخذ من الفيلة سمة لتمييز أهل المدائق ، عن غيرهم ، بعد أن جاورت حليلته أهل الأمصار التي فيها الديک والفيل ، فقال:

حَلّت خويلةُ في دارٍ مُجَاوِرَةً أهل المدائِنِ فيها الدّيک والفيل[34]

وذكرها القعقاع بن عمرو ، وشبهها في ضخامتها ، بالبيوت ، فقال:

فإن كنتُ قاتلتُ العدوّ فللتُهُ فإنّى لألقى في الحروف الدّواهيا

فُيولاً أراها كالبيوت مُغيرةً أسمّل أعياناً لها و ماقيا[35]

وسعد بن أبي وقاص الذي عانى من الفيلة ، جراء ما فعلته يوم القادسية ، بعد أن اعتورت خيول المسلمين ، لا يجزع مما أحدثته ، بل يحثّ المسلمين على الثبات ، لأن هذه الفيلة بضخامتها ، وارتفاعها ليست إلا كالإبل الجرباء ، وفي ذلک يقول:

وَما أرجُو بجيلة غيرَ أنّي أؤمّل أجرهم يوم الحساب

فقد لقيت خيولُهُم خيولاً و قد وَ قَعَ الفَوارسِ في ضرابِ

وقد دلَفتْ بعرصتهم فيولٌ كأنَّ زُهَاءَ هَا إبلٌ جِرابُ[36]

وعاصم بن عمرو يفخر في يوم ارماث بتعطيل الفيول من طاقتها وقواها فيقول:

وعرّيتِ الفُيولُ من الثواني وعُطّلَتِ الْخُولُ من الرجالِ[37]

ومثل ما انبهر المجاهدون بفيول الفرس ، فوصفوها في أشعارهم ، فقد أتوا على ذكر الحشرات التي كانت غريبة فآذتهم ، وآذت دوابهم ، فقال أحدهم يشكو من الذباب الذي آذى ناقته:

لقد حُبست فى كربلاء مطيّتي وفي العينِ حتّى عاد غثّاً سمينُها
إذا زَحَلَتْ من مَبْرَكٍ رَجَعَتْ له لعمرُ أبيها إنَّنى لأَهِنهَا
ويمنعها من ماءِ كُلّ شريعةٍ رِفَاق من الذّبان زُرقٌ عيونها[38]

وخلاصة ما يقال فى هذه المقالة ، أن الإسلام إذا كان قد وضع جملة من الضوابط للشعر المقبول فى دولته ، فإنه فى الجانب الآخر ، قد هيأ الظروف المناسبة ، وأحدث الأجواء الملائمة التي استمد منها الشعراء التجارب الغنية التي وسّعت من آفاقهم ، وكان لها دور في بروز اتجاهات جديدة فى أغراض الشعر الإسلامي.

الهوامش

1) نورى حمددى ، الدكتور، الشعر والتاريخ ، دارلحرية للطباعة ، بغداد، 1980م ،ص 53
2) شكرى فيصل ، الدكتور ، المجتمعات الإسلامية فى القرن الأوّل، مطابع دارالكتاب العربى ، مصر ، 1952م ، ص 348
3) من شعراء الفتوح أبو نجيد (مقالة) في مجلّة المورد ، العدد :1 ، لسنة 1972م ، ص 108
4) الحنين والغربة فى الشعر العربي (مقال) نشر في مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ، العدد: 11 ، 1982م ، ص70
5) الحنين إلى الأوطان للجاحظ (تحقيق: شيخ طاهر الجزائرى) ، المطبعة السلفية ، القاهرة، 1351م ، ص 8
6) النساء : 66
7) الحنين إلى الأوطان للجاحظ ، ص 10
8) الحنين والغربة في الشعر العربى (مقالة)، ص 78
9) العفر: التراب - الحنين إلى الأوطان ، ص14
10) الحنين والغربة في الشعر العربى (مقالة)، ص 71
11) المصدر السابق نفسه

12) محمد ابراهيم مصور ، الحنين إلى الوطن في الأدب العربى حتى نهاية العصر الأموى ، دارنهضة ، مصر للطبع ، ص 18

13) مطالع البدور في منازل السرور 2/292

14) الأزرقى ، أبوالوليد محمد بن عبدالله ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مطابع دارالثقافة مكة المكرمة ،1965 م ، 2/155؛ ابن هشام ، عبدالملک ، السيرة النبوية ، مطبعة مصطفى الحلبى ، مصر ، 1955م ،1/473

15) المصدر السابق نفسه

16) ياقوت الحموى ، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله ، معجم البلدان ، دار الصادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1955م ، 5/183

17) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/579

18) ابن دريد محمد بن الحسن الأزدى ، جمهرة اللغة ،دار صادر ،بيروت ، 1/64؛ ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، 3/315

19) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/589 ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، 2/176

20) الحنين والغربة في الشعر العربى (مقالة)، ص 74

21) لم نوفق فى العثور على ترجمة له.

22) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، 3/17,18

23) الجوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان ، وستاقا : سوادها وقراها ، خوط : من قرى بلخ.(الأغانى ، بيروت: دارالثقافة ، 11/260)

24) ابوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله ، فتوح مصر وأخبارها ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1920م ، ص 82

25) سامي مكى العانى ، دراسات فى الشعر الإسلامى ، مطبعة المعارف بغداد ، 1968، ص 224

26) شعر عاصم بن عمرو التميمى ، ص 246

27) المصدر السابق ، ص 248 ؛ الطبرى ،ابوجعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوک ، مطبعة دارالمعارف ، مصر ،1968م ، 3/453

28) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، 3/118

29) شعر القعقاع بن عمرو ، ص232

30) شعر عاصم بن عمرو التميمى ، ص 241

31) نورى حمددى ، الشعر والتاريخ ، ص 64-60

32) شعر عبدة بن الطيب (تحقيق: يحيىٰ الجبورى) ،دارالتربية للطباعة والنشر ، 1971م ، ص58 ؛ الطبرى ، تاريخ الأمم والملوک ، 3/412

33) شعر القعقاع بن عمرو ، ص 239؛ الطبرى ، تاريخ الأمم والملوک ، 3/557

34) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوک ، 3/577

35) شعر عاصم بن عمرو ، ص 250

36) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوک ، 3/373 ؛ باقر عبدالغنى ، دراسات فى الأدب الإسلامى ، مطبعة العانى ، بغداد ، 1976 ، ص 225-224

1. Al-Nori Al-Hamdadi, Aldaktor, Alshe'r Wa Altarikh, Dar-ul- Hurria Liltaba'a , Baghdat, 1980, P53
2. Shukri Faidal, Aldaktor, Al-Mujtamiat ul Islamia Filqarn-ul-Awal, Matabe Dar-ul-Kitab Al Arabi, Masar, 1952, P:348
3. Abu Najeed, Min Shura Al Fatooh, Maqala Fi Majlatul Maurid, Aladad:1, Lesanh 1972, P:108
4. Al-Hunain Wal Ghurabah Fi Alshe'ar-ul-Arabi (Maqal) Nashar Fi Mujallah Ma'ahd Albuhose Wadarasat-ul-Arabia, Aladad:11, 1982, P:70
5. Al-Hunain Elal Aoutan LilJahiz (Tahqeeq: Sheikh Tahir Al-jazyri), Al-Matba tul Salafia, Al-Qahira, 1351, P:8
6. Al-Nisa:66
7. Al-Hunain Elal Aoutan LilJahiz, P:10
8. Al-Hunain Wal Ghurabah Fi Alshe'ar-ul-Arabi, P:78
9. Al-Hunain Elal Aoutan LilJahiz, P:14
10. Al-Hunain Wal Ghurabah Fi Alshe'ar-ul-Arabi, P:71
11. Ibid.
12. Muhammad Ibrahim Musawar, Al-Hunain Elal Watan Filadabil Arabi Hatta Nehayatul Asaril Umavi, Dar Nahza, Mesar Liltaba'a P:18
13. Shaik Almaki, Matale Albador Fi Manazel Alsaror, 2/292
14. Al-Arzaqi, Abual Waleed Muhammad Bin Abdullah, Akhbar Makkah Wa Ma Ja'a Fiha Minal Asar, Matabe Dar-u-Saqafah, Makkah Tul Mukarama, 1965, 2/155
15. Ibid.
16. Yaqoot Al-Hamavi, Shihab-u-Din Yaqoot Bin Abdullah, Mu'ajam Al-Buldan, Dar-u-Sadar Letaba'a Wanashr, Bairot, 1955, 5/183
17. Ibn-e-Hisham, Al-Seerah Alnabavia, 1/579
18. Ibn-e-Duraid, Muhammad Bin Alhasan Alazdi, Jamhara-tu- Lugha, Dar-u-Sadar, Bairot, 1/64
19. Ibn-e-Hisham, Al-Seerah Alnabavia, 1/589
20. Al-Hunain Wal Ghurabah Fi Alshe'ar-ul-Arabi, P:74

21. Lam Nuwafiq Fi alasor ala Tarjamata laho.
22. Yaqoot Al-Hamavi, Mu'ajam Al-Buldan, 3/17,18
23. Al-Jozjan: Korah Wasia Min Kor Balakh Bekharasan, Wa Sataqa wa Qaraha, Khot: Min Qura Balakh. (Al-Aghani, Bairote, Dar-u-Saqafa, 11/260)
24. Abu Al-Qasim Abd-u-Rehman Bin Abdullah, Fatooh Mesar Wa Akhbaroha, Matba'a Brial, Ledon, 1920, P:82
25. Sami Makki Al-aani. Drasat Fi Al-She'r-u-Islami, Matba tul Ma'arif, Baghdad, 1968, P;224
26. She'r Asim Bin Amar Al-Tamimi, P:246
27. Ibid
28. Yaqoot Al-Hamavi, Mu'ajam Al-Buldan, 3/118
29. She'r Al-Qa'qa Bin Amar, P:232
30. She'r Asim Bin Amar Al-Tamimi, P:241
31. Al-Nori Al-Hamdadi, Alshe'r Wa Altarikh, P:60-64
32. She'r Abdah Bin Al-Tayub, (Tahqeeq: Yahya Al-Jabori), Dar-u-Tarbia Liltaba'a Wanashar, 1971, P:58
33. She'r Al-Qa'qa Bin Amar, P:239
34. Al-Tabari, Tarikh ul Umam Wal-Malok, 3/577
35. She'r Asim Bin Amar Al-Tamimi, P:250
36. Baqar Abdul Ghani, Drasat Fi Aladab –ul- Islami, Matba'a Alaani, Baghdad, 1976, P:224-225